العدد 2510 - السنة التاسعة
الثلاثاء 5 يوليو 2016
Tuesday 5 July 2016 - No.2510 - 9th Year
إعداد : محمود عبدالراضي

مجلس السياحة في ليبيا وكنوزها الصامتة

صبراتة: معالم ساحرة تشي بتاريخ فريد

صور من داخل آثار صبراته

صبراتة هي مدينة ليبية كان اسمها عند اليونانيين «لبروتون بولس كاي ليمن» (ميناء ومدينة لبروتون) وعرفت بعد فترة باسم «صبراتة».

الموقع حوالي 60 كم غرب طرابلس تذكر المصادر التاريخية أن الفينيقيين هم مؤسسو هذه المدينة، ثم وقعت تحت سيطرة الرومان، ثم الوندال الذين دمروها كغيرها من المدن التي طالتها أيديهم، ثم احتلها البيزنطيون فأعادوا تعميرها إلى أن جاء الفتح الإسلامي. ويذكر ابن خلدون في تاريخه (المجلد السادس منه) أن هذه المدينة كانت قبل الإسلام ملكا لقبيلة نفوسة البربرية، ولكن الظاهر أن البيزنطيين استعادوها منهم مصالحة. بيد أنها خربت بعد الفتح الإسلامي؛ حيث فضل ساكنوها من البيزنطيين (وكانوا يقدرون بزهاء خمس عشرة ألف نسمة بحسب ما تذكر بعض المصادر) الرحيل عنها إلى بلادهم الأصلية. وقد كان الاسم الذي عرفت به هذه المدينة عند العرب هو (صبيره)، وبه ذكرها ابن خلدون في تاريخه، والتيجاني في رحلته، وغيرهما.

ملخص لتاريخها مدينة فينيقية اسست في الالف الاولى ق.م. واشتهرت في العصر الروماني. اهم آثارها المسرح ، الضريح البونيقي ، القورم ، البازيلكا ، الكوريا (مبنى البلدية) كنيسة جستنيان بعض المعابد و الكنائس .

إذا ما غادرت طرابلس وسلكت الطريق الساحلي واتجهت غربا فستبلغ بعد ساعة تقريبا المدينة الأثرية صبراتة.

ولعل أول ما يلفت نظر الزائر أطلال مسرحها الروماني في الجانب الشرقي فيها، كذلك الضريح البونيقي الذي يبرز من خلال قطاعات التنقيب في الحي السكني الممتد جنوب السور البيزنطي.

واسم صبراته اليوم لا يشمل المدينة الأثرية القديمة فحسب؛ بل إنه يشمل المدينة الحديثة أيضا إضافة إلى كل المنطقة الممتدة من زوارة غربا، وصرمان شرقا، والجبل الغربي جنوبا، وتحدها منطقة الحجيلات من الجنوب الغربي؛ وتشمل هذه الأراضي بعض القرى والمناطق المعروفة : الخطاطبة (قبيلة الرايس)، دحمان، والوادي، وقاليل، وسوق العلاقة، وخرسان، والنهضة، والطنيبات، والديابشية، وزواغة (يبدو أن هذا الاسم اقتصر في الوقت الحالي على هذه الجهة وساكنيها فقط)، وقصر العلاقة، ونليل، ومليتة، والطويلة، وغيرها.

يعود إنشاء مدينة صبراتة إلى مطلع الألف الاولى قبل الميلاد، في الفترة التي تلت اقامة المستوطنات الفينيقية الاولى في الشمال الافريقي والتي على رأسها مدينتا قرطاجنة وعنيقة «اوتيكا» في القطر التونسي الشقيق. وصبراتة واحدة من المدن الثلاث التي نسبت اليها قديما أراضي الجزء الغربي الشمالي من ليبيا، والذي أطلق عليه قدماء اليونان اسم تريبوليس أي اقليم « المدن الثلاث» كما أطلقوا عليه اسم «ايمبوريا» أي المراكز التجارية حيث كانت تقوم هذه المدن الثلاث المشار اليها والتي بقيت من انشط الأسواق والموانئ التجارية الليبية الفينيقية « البونيقية» وذلك إلى انهيار الحكم القرطاجي وقيام الدولة النوميدية وتمكن الرومان من بسط نفوذها الذي واجه مقاومة عنيفة من الليبيين النوميديين اسوة باستبسال البونيقيين.

وعلى اثر الحرب الأهلية الرومانية التي امتدت آثارها إلى الشمال الافريقي وانتصار يوليوس قيصر على خصمه بومبي في موقعة «تابسوس» أسست الولاية الافريقية التي ضمت اليها أراضي «لامبوريا» وذلك سنة 46ق.م.؟

ترجع أطلال المدينة الحالية في معظمها إلى القرنين الأول والثاني من تأسيس الامبراطورية الرومانية، حيث تم تجديد بناء المعابد البونيقية السابقة والمحيطة بساحة السوق - (القورم) والايوان القضائي «البازيليكا» والمجلس البلدي (الكوريا) في القرن الرابع الميلادي، وإلى ذات الفترة السابقة يعود أيضا حي المساكن على الطريق الرئيسية المؤدية إلى المتحف وكذلك الطريق الرئيسية الثانية والقاطعة للاولى عند الزاوية القائمة علة امتداد سور المدينة البيزنطي. وفي فترة لاحقة اقيمت مساكن الحي الممتد بين المسرح والطريق الرئيسية الممتدة من الغرب إلى الشرق.

ويلاحظ النسق التربيعي في تقسيم الشوارع وتقطيعها وهذا ينفق بل وينطبق على النظام التخطيطي الهيبوداموي ، الأمر الذي نتج عنه تطابق في تخطيط ورسم المباني والشوارع مع محور تصميم المسرح والمساكن .وتحديدا تلك التي يعود انشاؤها الى القرن الثاني الميلادي- أي خلال فترة حكم الامبراطوريين انطونيوس بيوس وماركوس اوريليوس (138-180م)ومن المرجح أن يكون وضع صبراتة في هذه الفترة المزدهرة من حكم الامبراطور انطونيوس بيوس قد آل إلى أنها أضحت مستوطنة رومانية وذلك بسريان نظام الحقوق المدينة الرومانية على سكانها، ويعتقد أن الأسباب التي تكمن وراء ازدهار المدينة تعود إلى النشاط التجاري فيها وليس الأعمال الزراعية، فأرض الضواحي المحيطة بها تعد أقل خصوبة من أراضي المقاطعة لبدة، يؤكد ذلك مقر وكلاء تجار صبراتة، الذي تم العثور عليه في مرفا (اوستيا) القديم على الساحل القريب من مدينة روما، حيث تزدان قائمة المقر المذكور بفسيفساء.. صور الفيل.. وقد استنتج من هذا أن تجارة صبراتة الرئيسة كانت تقوم على تصدير العاج و المنتوجات ذات السمعة الافريقية الاخرى وذلك عن طريق فزان وغدامس ، وظل البلد مزدهرا طوال القرن الثالث الميلادي إلى عهد الأباطرة السوبريين، في أواسط القرن الرابع الميلادي وقع زلزال، ناهيك عن غزوات السلب والنهب والتخريب التي قامت بها بعض قبائل الاوستوريين.

وتسترد المدينة مكانتها السابقة في فترات لاحقة وذلك حتى مجئ قبائل الوندال التي اجتاحت الشمال الافريقي واستهدفت صبراتة تخريبا واحتلالا سنة (455م) شانها شان بقية المدن الافريقية في تلك الحقبة.وظلت المدينة مهملة إلى أن احتلها الجيش البيزنطي ثانية سنة (533م) . وفي عهد الامبراطور جستنيان الذي استمر في حكم إلى سنة 565م، أعيد تحصين القسم الأقدم من المدينة المجاور للميناء وذلك بانشاء واقامة سور بأبراج، كذلك شيدت فيها كنيسة غطيت ارضية بهوها بالفسيفساء (نقلت الأرضية الفسيفسائية إلى طرابلس عام 1931م وهي محفوظة الآن بقاعة خاصة بالمتحف الجماهيري). وتم في هذه الفترة أيضا بناء مساكن جديدة وعبدت الطرق التي تتخللها على انقاض المباني السالف ذكرها بمستوى يعلو 3-4 اقدام فوق المستوى القديم كما يلاحظ من قطاع التنقيب الواقع داخل الباب البيزنطي في الجهة اليمنى منه مباشرة.

في عام 1923م. شرع بأعمال التنقيب والحفر في مدينة صبراتة ولأول مرة. ولقد استمرت هذه الأشغال حتى عام 1936م، حيث تم خلال هذه المدة الكشف عن نصف مساحة المدينة القديمة تقريبا بما في ذلك المباني العامة وعدد من المساكن و الشوارع.

ومن بين المنشآت الهامة التي تم العثور عليها في تلك الآونة مسرح صبراتة.

وفي الخمسينات استؤنفت أعمال الحفر والتنقيب واتسع نطاقها فشمل القسم الغربي من المدينة والكائن جنوب السور البيزنطي، حيث اكتشف حي سكني يرجع للفترة الاولى من تأسيس الامبراطورية الرومانية. ويتميز هذا الأثر المعماري اليونيقي بطابعه الليبي الواضح

وكما وصف آثار صبراته الكثير من الرّحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر، مثل «بارت» الذي تحدّث عن المسرح والأعمدة والأقواس. وقد رأى أيضا رصيف الميناء وتمثالين من الرّخام، أحدهما لامرأة ذات جسم متناسق. كما وصفها الرّحالة «فون مالتزان» ووصف المسرح الدائري والتماثيل والميناء وبعض الأبنية البيزنطيّة المتأخرة. ومع الاحتلال الإيطالي لليبيا عام 1911 م، قرّرت الحكومة الإيطالية تكليف بعثة من كبار المؤرّخين وعلماء الآثار بالبحث عن الآثار الرّومانية بصبراته وغيرها من المدن الليبية. وبدأت الحفائر المكثفة بصبراته من سنة 1923 إلى 1936، وأدّت إلى اكتشاف وترميم معظم مباني وشوارع ومسرح ومدافن المدينة القائمة حتى الآن وبها المسرح الكبير التي تقام فيه بعض الحفلات الموسيقية سنويا.

تشتهر مدينة صبراتة بشاطئ رملي على البحر الأبيض المتوسط تظل عليه غابات الصنوبر والمنتزهات مثل منتزه صبراتة العائلي، حديقة الحيوانات وكذلك ظهرة بنور ومنها تستطيع رؤية المنطقة بكاملها والمدينة الأثرية.

الضريح البونيقي

المسرح الروماني

هن وابداع

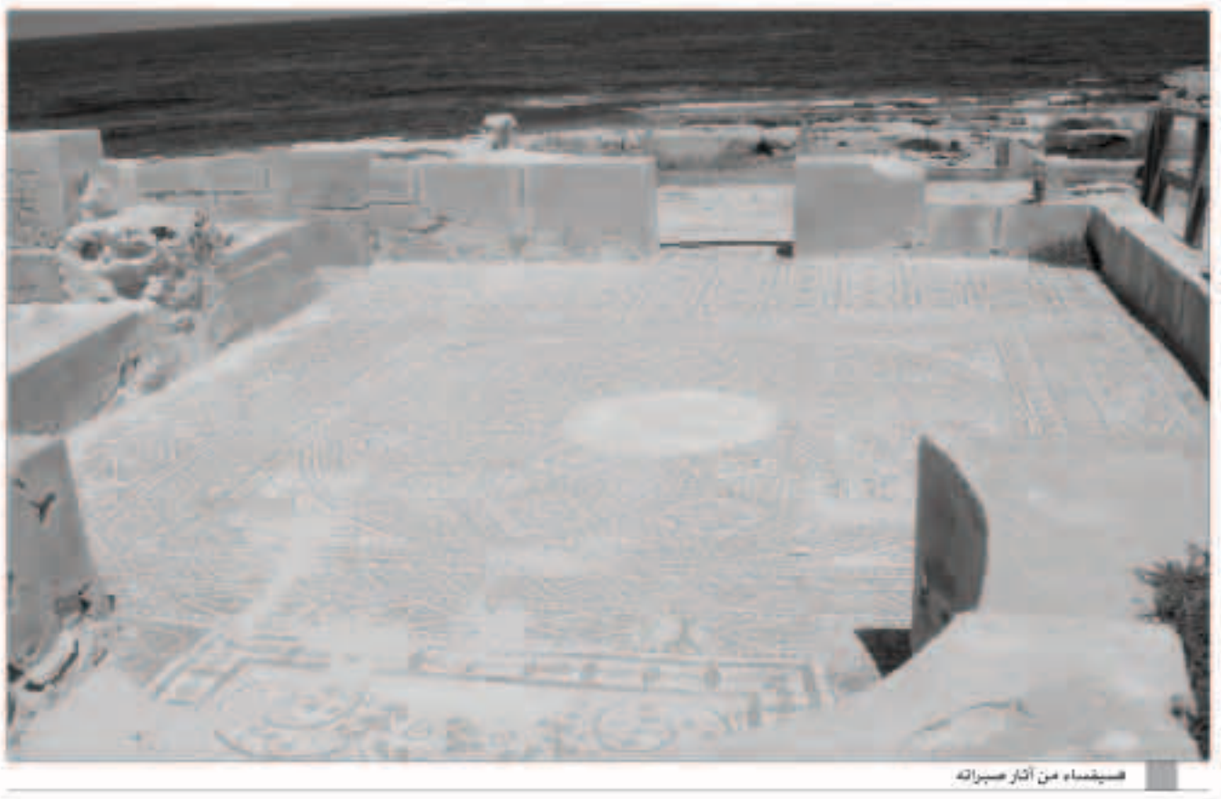

فسيفساء من آثار صبراته